بسم الله الرحمن الرحيم

المشورة -30-

-جواب أسئلة 1-

الحمد لله ربّ العالمين، وأفضل الصلاة والسلام على حبيبنا وقرّة أعيننا محمّد وآله وصحبه أجمعين، وأسأل الله، تبارك وتعالى، أنْ يجعل هذه اللقاءات سبباً لنزول الرحمات، وهطول البركات بجاه سيّد السادات سيّدنا رسول الله، صلى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلم، ما دامت الأرض والسماوات.

وأُذكِّرُ ببعض الأمور بهذا اللقاء الكريم:

الأمر الأول: لأنَّه منذ فترة توقفنا، أو لم يقدّر الله، عزَّ وجلّ، لنا لقاء، فأرجوا أنْ نرجع إلى قلوبنا لفحص النية مرة أخرى؛

(إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ) الإمام البخاري رحمه الباري تعالى

وسبق أنْ قلت العبارة التي تجسد نيتنا في قلوبنا: (اللهم أنتَ مطلوبي ورضاك مقصودي).

ثانياً: غالباً أوجه أحبابي لضرورة استثمار الطاقات، واستثمار الأحوال واستثمار الإمكانات، ففي كلّ طاقة، وفي كلّ إمكانية، وفي كلّ حالة خيرات وبركات لمن يتأمل ويتدبر.

هذا اللقاء خصص للبدء بالإجابة عن بعض الأسئلة التي وردت إليَّ من السادة المشايخ، من الأخوة المستمعين لهذه اللقاءات، رضي الله تعالى عنهم وعنكم.

إذن هذه اللقاءات من اليوم إلى ما يقدر الله، سبحانه وتعالى، هي للإجابة على

الأسئلة.

هنا أستثمر هذا الوضع، وأتناصح وأتواصى معكم على هذا المبدأ، الذي هو مبدأ استثمار كلّ ما يمكن استثماره، فنستثمر هذا العنوان عنوان الأسئلة والأجوبة لأجل أنَّ نذكّر أنفسنا بأننا في دائرة المسؤولية، فهنالك من يُسْأل وهنالك من يجيب؛ وأول ما يبدأ العبد رحلته من هذه المرحلة الدنيوية إلى الدار الآخرة تواجهه أسئلة، مَنْ ربك، جلَّ جلاله وعم نواله؟ ومن نبيك، صلى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلم؟ إلى غير ذلك من الأسئلة.

بعد فترة البرزخ ومرحلة البرزخ تبدأ الحياة الأخروية، ورسول الله، صلى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلم، بيّنَ أنَّ البداية أيضاً ستكون من خلال أسئلة، هذا القانون العام، هذا الحكم العام لربّ الأنام، سبحانه وتعالى، فقال عليه الصلاة والسلام وعلى آله وصحبه والكرام:

(لَا تَزُولُ قَدَمَا الْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ...) الإمام ابن أبي شيبة رحمه الله تعالى

إلى آخر الحديث الشريف، فماذا أعددْت يا سعد الله للإجابة على هذه الأسئلة؟ ينبغي أنْ تربي قلبك، وتهذب نفسك باستذكار هذه الأحوال حين ترد إليك الأسئلة من النساء والرجال، فأوصي أحبتي، أوصيهم استثمار هذه الأحوال، يعني: لا يأتيك سؤال يا سعد الله وأنت شامخ مُستعظِم نفسك وعلمك، أنا عالم ويسألوني! ،لا، توقف قليلاً ذكرّ نفسك بأنّك ستُسأل في قبرك، وتُسأل يوم القيامة، وتضرَّع، وتذلّل إلى الله، تبارك وتعالى، واطلب من فضله أنْ يحميك من هذه الأسئلة، وأنْ يجعلك ممّن يدخلون الجنة بغير سؤال، ولا سابقة عذاب.

هكذا نستثمر إذن أحبتي ما يطرأ من حال وما تأتي علينا من ظروفٍ وأحوال وأوقات.

أحببت أنْ أستمع إلى الأسئلة من خلال الحضور الكرام، فطلبت من فضيلة الشيخ، حفظه الله، تبارك وتعالى، ووفقه، وحفظكم ووفقكم، أن يوكل قراءة الأسئلة إلى من هم أكبر سناً من الحضور في هذا اللقاء المبارك، ثم قلت أيضاً: إنْ تساويا في العمر، فأرجو أن يقدم قارئ السؤال حسب تسلسل الحروف الأبجدية بالنسبة لأسمائهم الشريفة.

فليتفضل فضيلة الشيخ الدكتور لقراءة السؤال الأول:

السؤال الأول: سيّدي عفواً، حضرتكم ذكرتم في أكثر من مرة بأنّ السالك لا يجوز له أن يرابط مع مرشده، الذي انتقل إلى الدار الآخرة، ولكن حضرتكم الكريمة ذكرتم في مقطعٍ آخر: بأنّ حضرتكم، رضي الله تعالى عنكم، حينما تبدؤون في جلستكم للذكر، ترابطون مع سيّدي حضرة الشيخ عبد الله، قُدِّس سره وطيب الله روحه وذكره وثراه، فكيف نوفّق بين الأمرين؟

الجواب الأول: جزاك الله تعالى خيراً: بدايةً أُذكِّر بموضوع مهم تحدثت عنه أعتقد في آخر لقاء بالسلسلة السابقة، أو قبل الأخير، يعني ما أتذكر الآن، هذا الموضوع هو قلتُ: ينبغي علينا أنْ نلتفت ونتثبت من متعلق النص حين يأتي نص، ينبغي أنْ نعلم ما هو متعلق هذا النص.

مثلاً: ضربت مثالاً، قلت لكم: من معاني الظلم: الشرك.

أو كما قال الله، تبارك وتعالى، في وصية سيّدنا لقمان، عليه السلام، لابنه:

{وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ}

[سورة لقمان عليه السلام: ١٣]

فإذن تأكيدنا: إنّ الشرك لظلمٌ عظيم، الظلم: صورة من صور الشرك: {يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ} لماذا؟ {إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ }

فالشرك: صورة من صور الظلم، نعوذ بالله، تبارك وتعالى، طيب: لما نأتي في دعاء سيّدنا ذي النون، عليه السلام، وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم، يقول في دعائه:

{لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ} [سورة الأنبياء عليهم السلام: ٨٧]

فهل يجوز أنْ نفهم كلمة الظالمين هنا، نعوذ بالله، تبارك وتعالى، بالمعنى الذي ورد بوصية سيّدنا لقمان لابنه؟ قطعاً لا، لماذا؟ واحد يقول لك: هذه الشيء نفسه، هي نفسها اللغة العربية، هناك ظالم وهنا ظالم، لماذا يختلف المعنى؟ تقول: لمتعلق النص، هنا قرينة تصرف هذا المعنى عن هذا اللفظ، فهنا لا يراد: {لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ} أكيد لا يراد بهذا اللفظ: الظلم، لو السائل الكريم انتبه، سيجد هنا في هذا السؤال، فهنا ننظر إلى متعلق النص، قلت: السالك لا يجوز له بعد انتقال مرشده إلى الدار الآخرة إلّا أنْ يرابط مع مرشدٍ حيّ يعيش معه في هذه المرحلة الدنيوية، بعد ذلك قلت: أوّل ما أجلس في عملي الروحي أرابط مع مرشدي، طيب متعلق النص تغير أم لا؟ يعني: هل أنا سالك أم شيء آخر؟ الخادم: مرشد، المرشد يختلف عن السالك أم لا؟ يختلف، مثل: المؤمن والمسلم، مثل الذي بلَغ درجة الإحسان، والذي هو في درجة الإسلام، تختلف أم لا تختلف؟ تختلف، فهذه هي، سبحان الله، الحكمة الجلية،

الحكمة القوية الواضحة من إرشادي لكم بوجه خاص، وللباحثين بوجهٍ عام: أن ينتبهوا إلى متعلّق النص.

إذن لا يوجد تعارض الآن، فالسالك لا يستطيع ولا يقوى من ناحية روحية أنْ يخترق الحجاب الحاجز بين أهل الدنيا وأهل الآخرة أهل البرزخ، والمرشد له هذه القابلية: أن يخترق ويستمد، بل أكثر من ذلك، ألسنا في ثقافتنا الروحية نؤمن ونوقن بأنّ المرشد يتلقّى من نبيّ الهدى، صلى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلم؟ بلى، هذا معنى الاستقلال بالإرشاد، يعني: هو استقل عن مرشده من حيث الأحكام من حيث الوجوب، ليس واجباً عليه أنْ يرابط مع مرشده، لأنّ رابطته أصبحت مع الرسول الأعظم، صلى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلم، فإذا كانت له القابلية الروحية للتلقي من خير البرية، صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، ولا يشك إنسان أنّ خير البرية، صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، في الرفيق الأعلى الآن، ليس من أهل هذه الدنيا، ما يعيش هذه المرحلة الدنيوية، انتهت له، صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، فمن باب أولى أنّه هو يقدر أنْ يتلقى ممن هو أقل أقل رتبةً من خير البرية، صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، الذي هو مرشده.

فإذن لا أرى تعارضاً بين الأمرين، وأرجو أنْ يكون واضحاً، فهل الجواب واضح أم لا؟ السالك نعم لا يقدر، ولا يجوز له أنْ يرابط مع المرشد المنتقِل، ولكن في النص الثاني المرشد يتحدث عن نفسه: أنّه عندما يجلس يرابط معه مع مرشده. فإذن المرشد غير السالك، والسالك غير المرشد، والله سبحانه وتعالى أعلم، هذا بشكل يعني مختصر.

بعد ذلك ممكن أنْ نقول: إن رابطتي مع مرشدي ليست من باب الأحكام الفقهية، إنّما هي من باب الآداب الشرعية، ويوجد فرق بين الأحكام الفقهية، وبين الآداب، الأحكام الفقهية تتعلق: بالوجوب، والحرمة، والندب، والكراهة، والإباحة مثل ما تعرفون هذه الأحكام الخمسة.

الأحكام الخُلُقية: أحكام راقية، أحكام في مرتبة المراتب العالية من التقوى، قد يلتزم إنسان بالحكم الفقهي، وما واجب عليه أن يقدم الحكم الأدبي أو الخلقي، لأنّ هذا حكم عام يشترك فيه الناس جميعاً، تشترك فيه الأمة بكمالها وتمامها وجميعها، والتألّق إلى مراتب عالية، هذه ربما تكون للخواص من المسلمين، الخواص من المتقين.

وخير أنيس في العلوم مثال، أنتم الآن مجموعة تريدون أنْ تدخلوا إلى المسجد مثلاً، النظام العام: تيامنوا، هذا نظام، نحن عندما نريد أنْ ندخل مجموعة فالباب لا يسعنا أنْ ندخل كلنا مجتمعين، مَنْ هو الذي يبدأ؟ اليمين، يقولون: تيامنوا، "أنت على اليمين" فهذا الكلام صحيح، هذه قاعدة فقهية إذا طبّقها الإنسان لا يلام عليها.

لكن أيّهما أولى؟ أنت الآن تلتزم بهذه القاعدة الفقهية، أم ترقى إلى مراتب الخلق والآداب، وأنزلوا الناس منازلهم، فلو أننا كنا مجموعة، ووقفنا على باب المسجد، لكن في هذه المجموعة عالم مربٍّ جليل، لكن هو قدر الله، عزَّ وجلّ، أنْ يكون على جهة اليسار، نقول: تيامنوا، وندخل نحن الصغار والكبار، الجاهل الذي ديانته على قدره، يعني: يصلّي الصلوات الخمس، أو يقطّع في الصلوات الخمس، ونترك العالم المربي آخر واحد يدخل!؟ هنا صار خيار بين حكم فقهي

وبين حكمٍ خُلقي.

أكيد قلنا: إذا التزمت بالحكم الفقهي فأنت غير محاسب عند ربّ العالمين، أنت ما أتيت منكراً من القول وزورا، أنت أخذت بتوجيه فقهي: تيامنوا، لكن أيّهما أرقى؟ أنْ تأخذ بالحكم الفقهي، أم أنْ تأخذ بالحكم الخُلقي؟ بالحكم الذي يجسّد المقامات العالية والمراتب العالية؟ أكيد هذا أولى.

فمرابطة المرشد مع مرشده الذي انتقل إلى الدار الآخرة من هذا الباب، يعني من باب الأدب والاحترام لا يتجاوز مربيه، لا يتجاوز مرشده، طالما هو عنده القابلية أنْ يتلقى من هنا ويتلقى من هنا، فهو أول ما يبدأ من باب التوقير لمربيه، من باب الاعتراف بفضل الله تعالى، ثم بفضله عليه، يعني يقول: يا سيدي يا حضرة الشيخ عبد الله طيب الله روحك وذكرك وثراك، هذا الذي أقوله، يا من بعثك الله، عزَّ وجلّ، إليَّ منقذاً، كنتُ في غفلة على منبر النبي، صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، فجعلك الله سبحانه وتعالى سبباً لأنْ يرحمني، أنا ولله أبدأ بأنْ أدخل إلى الحضرة النبوية تحتَ جناحك الرؤوم، تحت رأفتك، تحت شفقتك عليَّ، أقدمك وسيلة، أتبارك بأنْ تكون وسيلة بيني وبين سيد الخلق، صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم.

فالآن تلاحظون يا أحبابي أنّ هنالك فرقاً هائلاً بين: القول الأول: أنّ السالك لا يجوز له، طبعاً لا يجوز، ما عنده القابلية أصلاً، إذا قلنا: يجوز للسالك، فنحن هدمنا قاعدة أساسية، مَعْلَم، بل عمود، العمود الفقري للعمل الروحي الإسلامي، إذا قلنا للسالك: يجوز له، أو يجب عليه أنْ يرابط مع مرشده المنتقل، فكلّ واحد يقول لك: على ماذا أبحث عن مرشد أرابط معه؟ أنا كنت سالكاً على سيّدي

حضرة الشيخ مصطفى، طيب الله روحه وذكره وثراه، أبقى مع حضرة الشيخ مصطفى، أنا كنت سالكاً على الشيخ محمد النبهاني، قدس الله سرّه العزيز، أبقى أنا مع سيدي الشيخ النبهان، قدس الله سره العزيز، ورحمنا الله، عزَّ وجلّ، بأرواح الصالحين، ومقامتهم ومكانتهم عند الله ربّ العالمين سبحانه وتعالى.

إذن انتهى لا يوجد بيعة، ولا يوجد إرشاد، ولم يبق شيء.

فإذن المرشد يرابط مع مرشده المنتقل إلى الدار الآخر، مع من أجازه، ليس من باب الحكم الفقهي، فليس واجباً عليه هذا، وإنَّما من باب ماذا؟ الحكم الخُلقي، حكم الآداب، حكم الأخلاق، هذه الأخلاق التي بُعِثَ سيد السادات، صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، لإتمامها وإكمالها:

(إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ) الإمام البزار رحمه الغفار تعالى.

لذلك كنت أرجو أنَّ السائل الكريم ينتبه لما يقرأ، يعني: قلت لكم نحن عندنا شبه ورد يوميّ في "معالم الطريق" هذا حقيقة، حتى لو لم يكن عندي مجال أقرأ سطرين أو ثلاثة من معالم الطريق كلّ يوم، يعني إلا أستغفر الله يا ربي ظروف طارئة، ظروف قاسية، ظروف كذا؛ أقرأ شيئاً مما تيّسر من كتاب الله، عزَّ وجلّ، وأقرأ ممّا تيسر من حديث النبي، صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، وأقرأ ما تيسر من معالم الطريق، هذا يعني ما أحيد عنه؛ فأقول: لو أنّ السالك له ارتباط قوي بمعالم الطريق فسيجد هذا الكلام الذي ذكرته موجوداً في كتاب معالم الطريق، أعتقد أنه في صفحة 304 أو هكذا يعني، حتى خادمكم شبه حافظ للنصّ تقريباً، أو ما يقارب ما ذكره سيّدي حضرة الشيخ عبد الله، قُدِسَ سره وطيب الله روحه وذكره وثراه، إما 304 أو 306، احتمال أنّ بعض

الاستنساخ الذي صار من بعض الأحباب للكتاب؛ تأتيني بعض النسخ المستنسخة فأحياناً الأرقام تختلف.

فيقول سيدي حضرة الشيخ عبد الله قُدِسَ سره:

(والمجازون من أهل الذروة إجازة الاستقلال بإرشاد المسلمين، فإنهم لن يتركوا الرابطة البادئة مع شيخهم، حيثما جلس أحدهم، أو جلسوا جلسة عمل روحي، لماذا؟ لأنّ شيخهم هذا هو الذي كان سبباً في وصولهم إلى ما وصلوا إليه)

فإذن هو الآن يتحدث عن الذين بلغوا الذروة في مقام الإحسان؛ فأجيزوا إجازة الاستقلال، هو مستقل عن مرشده، لكن ما يعني أنه مستقل عن مرشده يلعب كما يشاء، نعوذ بالله تبارك وتعالى، من دون أيّ انضباط، من دون أيّ توقير، من دون أيّ احترام! هو العمل الروحي هي: التزكية، والسير إلى الله رب العالمين سبحانه وتعالى، روحه، ولبّه، وسداه ولحمته في الآداب، الإنسان إذا فقد الأدب نعوذ بالله، تبارك وتعالى، ما عنده شيء بعد في هذا الطريق، من أساء الأدب على البساط رُدَّ إلى الباب، ومن أساء الأدب على الباب رُدَّ إلى سياسة الدواب، فنسأل الله، عزَّ وجلّ، أن يجعلنا متأدبين.

إذن لاحظوا إخواني سيدي حضرة الشيخ عبد الله طيب الله روحه وذكره وثراه، أكد لنا المحجة البيضاء، لا نقول: تركنا على المحجة البيضاء، الرسول الأعظم، صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، تركنا على المحجة البيضاء، لكن لفساد الفطرة، لفساد بعض القلوب، نعوذ بالله، تبارك وتعالى، صارت شيء من الغشاوة عن القلوب، فما قامت تبصر المحجة البيضاء.

فسيدي حضرة الشيخ عبد الله طيب الله روحه وذكره وثراه، في اعتقادي هو

مجدد أو مؤسس لنهضةٍ تجديدية في الأمة على الأقل، يعني: هذا أقل ما يقال، وإلا هو مجدد في اعتقادي، أزالَ هذه الغشاوة عمّن يطلب الهداية، عمّن يطلب الرعاية، فصارت المحجة البيضاء واضحة، لا توجد غيوم، لا يوجد دخن، فلذلك ينبغي أنْ تكون لكم صلة بمعالم الطريق، بتأمل، بتؤدة، بتعمق، ليس كلّ الأبحاث، توجد أبحاث يعني ربما ما تعنيك أصلاَ، لكن لُبُّ وروح الكتاب ومعالمه ينبغي عليك أنْ ترتبط بها هذه المعالم، فهذا الكلام أيضاً موجود في معالم الطريق ويمكن أنْ ترجعوا إليه، حتى لا يأتي واحد يقول: سعد الله يتكلم على هواه، لا، نعوذ بالله، تبارك وتعالى، نحن نبقى ملتزمين متقيّدين ونتواصى على ذلك، بما هدانا الله، تبارك وتعالى، إليه من الفهم عن مشايخنا، رضي الله تعالى عنهم، نحن ما يمكن أن نقطع صلتنا بسلسلتنا العلمية وسلسلتنا الروحية، أيّ قطع نعوذ بالله، تبارك وتعالى، يوقع الإنسان إلى ما لا يحمد عقباه.

طيب إلى الآن أؤكد على بعض جوانب الإجابة على هذا السؤال، الجانب الذي أؤكد عليه: ضرورة الانتباه لمتعلَّق النص، يوجد فرق بين السالك وبين المرشد، واستذكار قابليات المرشد، وقابليات السّالك، فالسالك يهيئ قلبه لأجل أنْ يرتبط بقلب مرشده، لأجل أنْ ينهض إلى مصاف ذكر الله، تبارك وتعالى، بحسن الصلة بذكر الله عزَّ وجلّ، والمرشد: هو الذي يغذي في هذا المجال، هو الذي يمدّ بعطاء الله عزَّ وجلّ من مدد؛ لأننا في دار الأسباب، هو الذي مكّنه الله، تبارك وتعالى، كما مكّن الغنيّ في المجال المادّي، نحن دائماً نقول: يوجد صورة ظاهرية في الحياة وصورة خفية، لكن الصورة الخفية جليّة وواضحة، لأن خير البرية، صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، تركنا على المحجة البيضاء

لا يزيغ عنها إلا ضال.

فمثلما في الصور الظاهرية الآن واحد غني، وترقّق قلبه عليك، وهو غني غني، مباشرة خُذ يا فلان، أذهب واشترِ لك سيارة جديدة حديثة، حتى لو 50.000$، حتّى لو 100.000$، أيستطيع أم لا يستطيع؟ يستطيع، الله مكّنه سبحانه وتعالى.

والشيء بالشيء يذكر، وهذه جلسات إنْ شاء الله تعالى ربّ العالمين يمُنّ علينا بها بالبركات، كما نرجو ونرنو، أذكر أحد الناس في وقت الحصار على العراق ساءت أحواله الماديّة جداً، وهو كان ساكناً في بغداد، فعنده سيارة لا يمكن وصفها إلا كما وصف سيدي حضرة الشيخ عبد الله، طيب الله روحه وذكره وثراه، مرّة واحدة من سياراتي، قال: سعد الله عنده حديدة هو يسميها سيارة! كان عندي سيارة بيجو 404 موديلها بالستينات، السيارات الفرنسية ليست مثل اليابانية، ما عندها مقاومة، وهذه البيجو أصلها سيارة فرنسية على ما أذكر، فكان يلاطفني يقول لي: أنت عندك حديدة أنت تسميها سيارة! فعلاً أرضيتها مفتحة، بحيث أنت عندما تقعد ترى الشارع من تحتك، إنْ شاء الله ربما في وقت آخر أصفها لكم، ما فيها شيء ما شاء الله، إذا أغلقت الباب المقبض الذي يرفع زجاجة النافذة يسقط عليك! وإذا عبرت مطبّاً وقع منها حديدتان أو ثلاثة ورائك في الشارع! والحمد لله رب العالمين؛ فكان يقول: أنت عندك حديدة أنت تسميها سيارة.

فهكذا عنده سيارة، تمشي على استحياء، فيأخذها إلى بوب الشام، يذهب بها من بغداد ويخرج بها من الطريق الذي يؤدي إلى شمال العراق إلى الراشدية أو هذه

المناطق، وهناك منطقة يسموها: بوب الشام، بوب الشام فيها معامل، قسم منها ينتج كارتونات، مثلاً: كراتين نستلة، أو كراتين ملابس، أو كراتين المواد الخفيفة، صاحب المعمل يساعده، يقول له: تعالَ في هذه السيارة وخذ مجموعة من هذه الكراتين، وأنا أعطيك نسبة عليها، أعطيك ممّا يمكنني الله منه، جزاه الله خيراً. فالرجل يذهب يومياً مرة أو مرتين من مركز مدينة الشعب، مدينة الشعب أوّل ما تدخلون بغداد من السيطرة، ولا أدري إذا حدثت فيها الآن توسعات ومدن جديدة، لكن أنا أتحدث عن التسعينات، عندما ندخل من سيطرة بغداد، نسميها: سيطرة الشعب، مباشرة الحي الذي يأتينا اسمه: حيّ الشعب، فهو هنا تقريباً، فهناك محلّات يزوّدهم بهذه الكراتين، يخرج من هناك إلى بوب الشام مسافة 20 كم، أو 25 على الأكثر.

في يوم من الأيام هذه السيارة وهو يمشي فيها جاءت سيارة سريعة ودخلت بهذه السيارة فكسّرتْها تكسيراً، بحيث لا يمكن تصليحها، فرجع المسكين مقهوراً محزوناً إلى البيت، زوجته استقبلته بابتسامة!، وينبغي لنسائنا أن يسمعن هذا الكلام، يجب أن يسمعن هذا الكلام، مسحتْ عنه الأحزان، فتحتْ له أبواب الأمل من رحمة الله عزَّ وجلّ، قالت له: الله موجود، سبحانه وتعالى، يا زوجي يا حبيبي، الله كريم، استرح، ارتح؛ وأتتْ له بماء وكذا، جبرت بخاطره، وجبْرُ الخواطرِ يمنع من المخاطر.

وهم جالسون هكذا كان عندهم أحد أقاربهم خرج منذ زمن خارج العراق، وذهب وعاش في الغرب، قدّرَ الله، عزَّ وجلّ، في ذلك اليوم، أنّ هذا الذي عاش في الغرب كان فاتحاً التلفزيون ويسمع تقريراً عن أحوال العراقيين في

الحصار، ويشاهد كيف أنّ ناساً باعت شبابيك بيوتها، وناساً باعت بيوتها، وقد حدث هذا فعلاً، فعندما سمع بذلك انتفض، وقال: أنا أعيش بالنعيم، والله مكّنني، فماذا أصنع بهذه الملايين من الدولارات؟! أهلي يعيشون برفاهية، وأولادي كلّ واحد أعطيته ما يحتاج وزيادة، وفعلاً هذا الرجل كان مُرتْباً لوضعه، وأنا يعجبني هكذا أناس الحقيقة، يُعجبني أنْ أرى أحبابي مرتبين أوضاعهم الماليّة، يُعجبني أنْ أراهم أغنياء، فهذه صورة من صور القوة:

(الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إلى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ) الإمام مسلم رحمه المنعم تعالى

فقال: أقاربي كيف أتركهم هكذا!؟ وفي ذلك الوقت لا يوجد هاتف جوَّال، فقام واتصل على أحد أقاربه في عَمَّان. قال له: ماذا تعرف عن فلان وفلان؟ يسأله عن أقاربه في العراق، ومن ضمنهم، صاحب السيارة التي صُدِمَتْ.

قال: لا والله، هم ما عندهم شيء. قال: أتستطيع أن تتواصل معهم؟ خاصة فلان (صاحب السيارة) هل تستطيع أنْ تتواصل معه؟

قال: والله أحاول. قال: الله يحفظك حاولْ، ومهما كان دعه يأتي إلى عمّان، أنا لا أستطيع أن آتي إلى بغداد، أنا سوف أسافر من هذا البلد الأجنبي وآتي إلى عَمّان، فليأتِ هو بأيِّ ثمن كان؛ فحاولوا، وحصل اللقاء في عمَّان، وكتب له (شيك) في ذلك الوقت لا أدري كم، ولكنه مبلغ كبير جداً، بحيث أنّه يكفيه لأن يشتريَ (فلة) في بغداد، شِبْه قصر، بيت كبير، وسيّارة فارهة، ورصيد يعيش منه لسنوات، فسافر إلى عمّان، وحصل اللقاء واستلم هذا الشيك من هذا الوفيّ لأقاربه، هذا الذي "لعبها صح" إن صح التعبير.

يعني: أنا ماذا اصنع بها، عندي ملايين أتركها في البنك، وأقاربي جّوْعى، العبها صح، يا أخي أنفق يُنْفَقْ عليك، الله يعوِّضْكَ خيراً، سبحانه وتعالى، إذا لم يكن في الدنيا ففي الآخرة، وأنت ما تفعل بالدنيا؟ المهم في الآخرة:

{وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ} [سورة الضحى: ٤]

الآخرة أبقى.

فانظروا هذا الغني كيف استطاع أنْ يقلب أحوال هذا الفقير إلى أحسن حال؟ الصورة الخفية إنْ صحّ التعبير للوحة، الآن نحن عندنا لوحة الدنيا، ويوجد صورة خفية خلفها، في مجال المعنوية، في مجال الطاقات، في مجال الرّوحانيات، هنالك من يستطيع أنْ يُنقِذَكَ.

وأنتم عندكم مثال، خادمكم، دائماً أذكره ، أنّه في الصورة الخفية كيف كان في غفلة؟ وربّ العالمين كيف رحِمه بسيّدي حضرة الشيخ عبد الله، طيب الله روحه وذكره وثراه؟ لأنّه يستطيع أنْ يعطي، عنده إمكانية، عنده قابلية.

فإذن هذا المرشد بقربه من مولاه، ولفضل الله، تبارك وتعالى، عليه، عنده قابلية التلقي من وراء البرزخ، البرزخ: الموجود الآن بين الدنيا والآخرة.

وأروي لكم أيضاً ما سمعت بهذا الخصوص من سيّدي حضرة الشيخ عبد الله، طيب الله روحه وذكره وثراه، من فمه المبارك الشريف الطيب إلى أذني، قال: (يا ولدي! البرزخ الذي بين الدنيا والآخرة بالنسبة لي أرَقّ من قشر البصل)

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، انظروا، أرقّ من قشر البصل.

يعني هذا الحاجز الموجود بيننا وبين أهل القبور، بيننا وبين أهل القَبول الذين

هم في المراتب العالية عند ربهم، يسبّحون الليل والنهار لا يفترون، يوجد ستارة بيننا، يوجد حاجز بيننا وبين هذه الحياة وبين تلك الحياة، هذا الحاجز، هذه الستارة بالنسبة لقوة بصيرة سيدي حضرة الشيخ عبد الله، طيب الله روحه وذكره وثراه، أرقّ من قشر البصل، يا سلام. طيب: أنت عندما تتكلّم عن مرشد، فهو غير السالك بالتأكيد.

والرابطة إذن، ينبغي أيضاً أنْ نعلم بأنّ هذه هي إنتهاضة قلب يريد أنْ يتصل بذكر الله، سبحانه وتعالى، بالإفادة من روحانية مرشده، فالرَّابطة حكم تكليفي بالنسبة لك، حكم تكليفي بالنسبة للسالك، فهو مكلّف بأن يرابط حتّى يحصّل حسن الصلة بذكر الله، تبارك وتعالى، حتّى يكون حاضراً في ذكره لله، سبحانه وتعالى، حتّى يتلقّى ما يقوّي رُوحانيته للارتقاء، هي كلّ الحياة الدنيا يفترض أن تكون ارتقاء.

أنت اليوم جلست، أو الفلاح يقوم من الصباح، ويذهب إلى حقله، يمسك المحراث، ويوجه الماء إلى السواقي، ويأتي على هذه الشتلة، ويأتي على هذه النبتة ماذا تحتاج، وهذه ما تحتاج؟ ... لماذا؟ حتّى يرتقي بهذا الخصوص في هذا المجال.

المسلم قعد وذهب يصلي الفجر في المسجد -نسأل الله سبحانه وتعالى أنْ يعيد علينا المساجد والجماعة فيها- أو صلّى في بيته، لماذا؟ يريْد أنْ يرتقي في مجال القُرب من الله، عزَّ وجلّ، يريد أنْ يدخل في ذمة الله، عزَّ وجلّ.

البارحة أحد الأحباب، الله يحفظهم، يستفسر عن رؤيا رآها: أنّه دخل امتحاناً أو أنّه يستلم نتيجة الامتحان، والنتيجة: صفر، لا إله إلا الله، لماذا؟ -هو أفصحَ،

وهذه شجاعة، لا نخادع أنفسنا يا جماعة، أنت لا تخادع نفسك يا سعد الله، تدّعي الورع والتقوى وإلى آخره، وأنت تعرف نفسك ماذا- فالرجل شهمٌ، الله يحفظه، وصادق، وبعبارته تقريباً يقول لي: سيّدي آني في هذا اليوم الذي رأيت فيه هذا المنام ما كنت مصلياً لا التهجد ولا مصلياً الفجر! نعم، طبعاً تأخذ صفر، يعني ما دخلت في ذمة الله:

(مَنْ صَلَّى الفَجْرَ فَهُوَ فِيْ ذِمَّةِ اللهِ عَزَّ وَجَلّ) الإمام مسلم رحمه المنعم تعالى .

، امتحان، هذه الدنيا امتحان.

فإذن هي كلها تشتغل لأن تترقى، كلها تتحرك لأجل أنْ تترقى، لأجل أنْ يترقوا، فالسالك يرابط كحكم تكليفي، لكن المرشد حينما يتوجّه، عمله الروحي سمّاه توجّهاً على السالك، لا يسمّى مرابطة مع السالك، والمرشد لا يرابط معك، الله تبارك وتعالى، جعل المرشد من أسباب تقويتك على ذكر الله، عزَّ وجلّ، وهذه بفهم بسيط جداً: كلّ مخلوق ربُّ العالمين استودع فيه طاقة تذكيرية للإنسان لو كانوا يعلمون، يعني: أنت تمشي في حقول زاهية، وترى ألواناً من الورود والزهور، وتشمّ شتّى أنواع العطور، هذه المخلوقات من الورود والزهور وما استودع الله، عزَّ وجلّ، فيها من جمال، تذكرك مباشرة بالله إذا عندك قليل يقظة مع الله، عزَّ وجلّ، تقول: سبحان الذي خلقها هذه الزهور والورود، فالمرشد له توجّه، المرشد الله، تبارك وتعالى، جعله سبباً لحركة القلب، لإنتهاضة القلب، جعله وسيلةً، جعله سبيلاً من السبل التي ذكرها ربّ العالمين:

{وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ} [سورة العنكبوت: ٦٩]

الذي عنده مجاهدة لنفسه الله يوفقه، سبحانه وتعالى، يأتي به إلى المُرْشِد، يأتي به إلى الصحبة الصالحة، يأتي به إلى المرأة الصالحة، وهكذا.

فالمُرشد لا يرابط، المرشد يتوجه، وأصل التوجه: الرِّعاية، والعناية، والتربية، يقول الله، تبارك وتعالى، بعد أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا ۗ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [سورة البقرة: ١٠٤]

يطلبون الرعاية من سيدنا رسول الله، صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، لكن لأنّ هذه الكلمة بدأ اليهود، قاتلهم الله وعليهم ما يستحقون من الله عزَّ وجلّ، يلْوُون بها ألسنتهم، ينتقصون من مقام حضرة النبي، صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، فقال: { لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا} لا تقولوا راعنا وقولوا: انظرنا، انظرنا، أكثر المفسرين الذين اطلعت على أقوالهم، رضي الله تعالى عنهم وعنكم، يقولون: انتظرنا، يعني: لا تستعجل في إلقاء الموعظة علينا يا رسول الله، صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، نحن أمّة أمية، أكثرنا ما عندنا قابلية على الفهم، فكان الرسول، صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، يعيد الكلام أحياناً ثلاث مرات؛ حتّى يستوعبه السامع، لكن يبقى اللفظ على إطلاقه، وقولوا: انظرنا، لماذا فقط انتظرنا؟، لا، انظرنا، أنا آتي فأقول لك: يا فلان أنظر إليّ، يعني: اهتمَّ بي، أنا تعبان، مثل: تعبان من ناحية نفسية، تعبان من ناحية مادّية، تعبان من ناحية عِلمية، على إطلاقها، وانظرنا تعني: توجّه علينا، انظر لنا يا حبيبي يا رسول الله، صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم،

{وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ} [سورة الكهف: ٢٨]

لما بدأوا حركتهم في إرادة وجه الله، تبارك وتعالى، وهم في دار الدنيا، لا يمكن أنْ يروا وجه الله، عزَّ وجلّ، الرؤية ممنوعة، كما تعلمون، في الدنيا:

{... قَالَ لَن تَرَانِي ...} [سورة الأعراف: ١٤٣]

في الحالات الطبيعية يمكن أنْ يحصل في مقامات الإعجاز، مثلما حصل للرسول الأعظم، صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، أو في أماكن غير مقيّدة بقوانين الفيزياء والكيمياء التي الأرض مقيدة بها كما حصل للرسول، صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، فوق سِدرة المنتهى، أو عند سدرة المنتهى، فذاك مقام مختلف، ذاك قوانينه مختلفة، وهنا في الأرض قوانين أخرى، ففي حال المعجزة، أو في حال أنْ تكون قوانين ملغيّة بأمر من ربّ البرية، سبحانه وتعالى، يمكن للإنسان أنْ يرى الله، عزّ وجلّ، لكن هذا الآن لا يمكن، لأنّه ختم، فقط الرسول الأعظم، صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، على رأي جمهور أهل العلم: أنّه رأى الله، عزَّ وجلّ، بعيني رأسه فوق سبع سماوات، حيث شاء الله عزَّ وجلّ، وحيث أراد الله سبحانه وتعالى، وهذه مسألة خِلافية فقهية منذ زمن السلف الصالح، رضي الله تعالى عنهم وعنكم، وهذه من الشواهد أنّه يوجد مسائل تتعدّد فيها الآراء، ونحن تجاوزاً نسمّيها: خلافية، الأفضل أنْ نقولَ: تتعدّد فيها وُجهات النظر، فالصحابة الكرام، رضي الله عنهم، وأمّهات المؤمنين، رضي الله تعالى عنهنّ، عندهم وجهات نظر، منهم من قال: سيدنا رسول الله، صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، رأى الله، عزَّ وجلّ، ليلة الإسراء

والمعراج، ومنهم من قال: لا، وجهات نظر، ولكل فريق دليله واجتهاده، المهم: لا يمكن.

المهم: {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ}

يريدون: يتطلعون لوجه الله، عزَّ وجلّ، يبتغون رضوان الله، تبارك وتعالى، ولكنّ لا يمكن وهم في الدنيا بهذا الشكل، يمكن في الأحوال غير الطبيعية، حتى في المنام، المنام أحكامه غير أحكام اليقظة، وجمهور أهل العلم أنّه يمكنُ أنْ يُرَى الله، عزَّ وجلَّ، في المنام، طيّب: {يُرِيدُونَ وَجْهَهُ} لمّا أرادوا وجه الله، تبارك وتعالى، وهم في حالٍ لا يمكن أنْ تتحقّق لهم هذه الأُمنية، وهذا المطلب، فلا أقلّ من أنْ ترعاهم أنتَ، فلا تصرِفْ وجهك عنهم: ولا تعدُ عيناك عنهم: {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ } [سورة الكهف: ٢٨]

هذه كلها توجه، توجّه عليهم، انظر إليهم، ثبّتهم، قوِّمهم، مدَّهم بمددٍ من عندك، لماذا؟ لأنّ هؤلاء أهل ذكر، لا يريدون الحياة الدنيا بأعمالهم، قلوبهم مع الله، عزَّ وجلّ، متوجِّهة إلى الله، تبارك وتعالى، بينما قلوب آخرين، نعوذ بالله تبارك وتعالى، غافلة:

{وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا}

[سورة الكهف: ٢٨]

انظروا الغفلة ماذا تصنع {وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا}

مباشرة الغافل عن ذكر الله سيتّبِع هواه، ومن أضلّ مِمَّن اتبع هواه، نعوذ بالله، تبارك وتعالى؟ لا أضلّ منه.

إذنْ الرابطة: السالك يقوم بالرّابطة كحكم تكليفي، هذا الحكم التكليفي يحتاج إلى مجاهدة، واللهِ في أوّلِ مجاهدة سيأتونك شياطين الجن والأنس، وأكثر شيء شياطين الأنس، يقول لك: أنتم تعملون ماذا؟! ما هي هذه الرابطة؟ أيوجد واسطة بينك وبين الله، سبحانه وتعالى؟! انظر كيف يصدّونك عن ذكر الله، يقطعون أعظم وسيلة من وسائل التقوية على ذكر الله، سبحانه وتعالى، عنك.

طيب: إذن الاستفادة من رَوحانية المرشد للتقوّي على ذكر الله، تبارك وتعالى، بإذن الله، عَزَّ وجَلّ، هذا حكمٌ تكليفي.

أمّا المرشد: فالله، عزَّ وجلّ، جعله، الله، عزَّ وجلّ، هيَّأَهُ لأجل أنْ تَستمِدَّ منه، فهو: يَنبوع عطاء، ينبوع رحمة، نعم في هذه الدنيا هو أيضاً في دار التكليف، هو أيضاً يجلس على الأقل يؤدي واجبه الروحي، يُحاول أنْ يوجه هذه الشحنة إلى هذه الجهة، هذه الشحنة إلى هذا القلب، جالس سيدي حضرة الشيخ قُدِس سرّه في الجامع يوم الجمعة، وسعدُ الله غافلٌ على المنبر، وجّهَ الشحنة الرّوحية إلى قلب سعد الله، هذا تصرّف، الذي يريد أنْ يشرب من الماء العذب هو يذهب إلى العين ويستقي منها، هو يذهب إلى البئر ويدلو بدلوه فيها، هو يَخرُج من بيته والسماء تمطر، ويعرض نفسه لرحمة الله، تبارك وتعالى، لكنّ هذه الرحمة موجودة، هذا فضل الله، عزَّ وجلّ، وجود المرشد، من فضل الله، تبارك وتعالى، علينا، الله، عزَّ وجلّ، عرَّفَنا بالمرشد من فضل الله، تبارك وتعالى، علينا، هذا هو الأصل.

لكنّ المرشد أيضاً غير معفي من التكاليف الشرعيّة، فهو أيضاً يقوم بأعماله، لكن لمّا انتقل إلى الدار الآخرة، فهذه الطاقات، وهذه المراتب لا تنتفي، نعوذ

بالله، وإلّا، نعوذ بالله، فسنقول مثل القول الذي يقوله الضالون والظالمون، عندما يقولون لك: ،أستغفر الله، أستغفر الله، ناقل الكفر ليس بكافر، يقولون لك: إنّ النبي، صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، مات، يريدون أنْ يقولوا: لم تبقَ له أيّ مَنفعة، ولم تبقَ له أيّ كرامة، حتّى ينفون جاهه الشريف العظيم، صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، ونحن ينبغي أنْ نعتقد بأنّ جاه النبي، صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، يتعاظم، يتعاظم، لا نقول يتكامل، هو متكامل، لكنْ يتعاظم فوق الكمال في كلّ لحظة، وفي كلّ طرفةِ عين.

فالمرشد عندما انتقل للدار الآخرة بقيَ شُعلةً نورانية، بقي سبباً من أسباب الوصول إلى ربّ البريّة، سبحانه وتعالى، لكنّه خرج من دار التكليف، لا يكلّف أنْ يربّي مرّة أخرى، لأنّ دار التكليف انتهت بالنسبة له، كما هو الحال لسيد الخلق، صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، لكنّ هذا لا يمنع من أنّ ربّ العالمين يمنحه بعض التصرفات، هو يستأنس بها من باب الاستئناس، فيكون له تصرف في الأرض، يدخل على هذا في المنام، يأتي على هذا بصفة روحية، يَهزّ رجله حتّى يَقْعُد يصلّي التهجد، يدغدغه، لكنْ ليس من باب التكليف، ليس من باب التكليف، وإنّما من باب حِرصهم، منْ باب كرمهم وجودهم، رضي الله تعالى عنهم وعنكم، وإلا فقد انتهى التكليف حين سلّم الأمانة إلى خالقها وبارئها، انتهى التكليف.

إذنْ ينبغي أنْ نعلم أنّ هنالك فرق بين الرابطة وبين التوجّه، فالمرشد من حيث الأصل هو مَعْلَم نوراني، يمكن الذهاب إليه والارتباط به والاستفادة منه، مثلما يحمل أحد نفسه ويذهب إلى مكان فيه عين ماء ويستقي من هذه العين، فهو حمل

نفسه وذهب، وعين الماء أيضاً بحسبَ طاقتها تنفض الماء الذي فيها، وكأنّها تفور وتغلي، وتمدّ عشرين متراً، حسب قوتها وكبرها وحجمها، ربما كليو متر، لكن البعيد يجب أن يأتي ويقترب، يجب أنْ يكلّف نفسه ويأتي، يأخذ، ويستقي.

فعندما يذهب إلى الدار الآخرة لا تقلّ طاقاته، بل تعظُم طاقاته، بل تعظُم مرتبته بإذن الله، تبارك وتعالى، فهو في دار التشريف، لكنْ لا يُكلّف بأحكام فقهية: واجب عليك يا مرشد أن تعمل كذا، أو مندوب لك أن تعمل كذا، أو حرام عليك أن تعمل كذا، أو مكروه أنْ تعمل كذا، أو هذا مباح، لا، انتهت هذه الأحكام في دار التكليف.

فالرابطة: بذل جهد من السالك، والتوجّه: عطاءٌ ورحمةٌ وفضلٌ من المرشد في الأصل، أرجو أنْ يكون هذا الكلام مفهوماً، فهو في الأصل شُعلة، هو نور لِمَنْ يستضيء، لكنه عنده في دار التكليف، عنده طبعاً، واجبات، فيوجّه هذا النور إلى الأرض المظلمة، أو إلى تلك الجهة المُعتِمة، ورَبّ العالمين، سبحانه وتعالى، كلّ هذا بفضله، عزّ وجلّ، وبإذنٍ من الله، تبارك وتعالى، وبكرمٍ من الله عزَّ وجلّ.

فأرجو أنْ ننتبه إلى هذه النقاط، وندقق فيها؛ للاستفادة من هذا النور، وهذا حتّى ربّ العالمين ذكره في الآخرة، نعوذ بالله، تبارك وتعالى، من أحوال المنافقين والمنافقات:

{يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ} [سورة الحديد: ١٣]

انظرونا: يعني أنهم أيضاً يأتون، ويمكن أنْ تفسر: انتظرونا، قفوا لا تستعجلوا، دعونا نمشي معكم، نستضيء بنوركم، لكنه في كلّ الأحوال وقوع فائدة، سواء هم لحقوا بهم، أو فُسِّر: {انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ} بـ: توجهوا علينا، دعوا نوركم متوجهاً علينا؛ حتّى نستفيد منه؛ لأنّنا لا نقدر على أنْ نبلغ مقامكم، وهذا هو الأصل في فهم النصّ الشرعي عندي، مع احترامي وإجلالي وتقديري لكلّ المفسّرين الذين فسروا {انظُرُونَا} بانتظرونا؛ ولكن كعبدٍ فقيرٍ أقول: أوّل شيء: أفهم النص بالفهم الظاهري، الفهم السلس، الفهم المتوفّر لكلّ الذين يقرؤون كتاب الله، عزَّ وجلّ، أيّ واحد إذا سمع (انظرنا) لا يفهم: انتظرنا مباشرة، انظرنا أي: انظر لنا، هذا كلام عربي، لغة عرب، يعني: يا أخي انظرني، انظر لنا، حتى لو تنظر لي على الظاهر؛ لترى ملابسي، أليس الرسول الأعظم، صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، لمّا جاءه وفد وكانت ثيابهم ممزّقة حفاة، فتمعّر وجه رسول الله، صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، وانزعج، عليه الصلاة والتسليم؟ نظر إلى ظاهرهم، ورأى هذا الظاهر؛ فيقول لك الإنسان: يا أخي انظر لي؛ حتّى تفهم وضعي، لماذا تفسّرها بـ انتظرني، أوّل شيء أفهم هذا الفهم الظاهري، الفهم المتاح لكلّ منْ يعلم لغة العربية، نعم، بعد ذلك لكَ الحق أنْ تتعمّق، وتذهب إلى معانٍ أخرى، وتأتي بقرائن، وتأتي بأدلة، على رأسي هذا الكلام، ما أنكره، ولا أعارضه، لا أحد، نعوذ بالله تبارك وتعالى، يقول: سعد الله يتجاوز المفسرين، أعوذ بالله، والله رقبتي تحت أقدامهم، بل تحت أحذيتهم، لكنْ للمسلم أنْ يفهم من كلام الله، تبارك وتعالى، ما يُقدَّر له، انظرونا: انظروا لنا، وجهوا أضوائكم علينا، ليس: انتظرونا إلى أنْ نصل لكم، لأنّهم من؟

منافقون ومنافقات، فلذلك ربّ العالمين، سبحانه وتعالى، غَيْرةً على هؤلاء ما سمح لهم لا هم ينظرون إليهم ولا ينتظرونهم:

{فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ ۞ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ} [سورة الحديد: ١٣ – ١٤]

هذا السور الذي يلِي المؤمنين والمؤمنات فيه الرحمة، باطنه فيه الرحمة، يعني: الجهة التي فيها هؤلاء المؤمنين، الله، تبارك وتعالى، يجعلنا فيهم ومعهم وبهم يا ربّ العالمين {بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ} سور منيع، انتهى، أي بصيص نور لا يرون، لماذا؟ لأنّهم وَلّوا وتولّوا، وأنكروا وكفروا بالمُسلّمات، كفروا بالأبجديات، وإذا كان ضوء النهار وضوء الشمس بحاجة إلى دليل فلا يصحّ في الأذهان شيء، إذا واحد يقول لك: ما هو الدليل على أنّ الشمس ساطعة، وأنّ الشمس مضيئة؟ فكيف تأتي له بالدليل؟ ماذا يصحّ في الأذهان إذا كانت هذه المسألة تحتاج إلى جواب؟! هذا سؤال معيب أصلاً، لا يقوله عاقل! لا يوجد عاقل يقول: ما هو الدليل على أنّ الشمس ساطعة، الشمس مضيئة، عيب هذا السؤال، لا يصح من العاقل؛ المرشدون، رضي الله تعالى عنهم وعنكم، هذه بعض أحوالهم، وهذه بعض مراتبهم ومكاناتهم.

فينبغي أنْ نميز حينما نسمع، أنْ نميز مُتَعلَّق النصّ، أنْ نميّز الحكم، هل هو حكم عقلي؟ هل هو حكم عُرفي؟ هل هو حكم شرعي فقهي؟ هل هو حكم عقائدي؟ هل هو حكم خُلقي؟ وهكذا، ينبغي أنْ ننتبه حينما نريد أن نسأل.

بارك الله فيكم، ونوّر الله قلوبكم، ورفع الله، عزَّ وجلّ، درجاتكم، ورحم الله وغفر لخادمكم ببركة دعواتكم.

سبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أنْ لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا مُحَمّد وآله وصحبه أجمعين، والحمد لله ربّ العالمين أستودعكم الله العظيم الذي لا تضيع ودائعه، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته